

30 نوفمبر انتصار شعب وهزيمة امبراطورية



مع الاستعمار البريطاني وقاومه وكانوا طيلة ما يربو على (129) عاماً حتى أخرجوه من أرضهم.

"الذئاب الحمر" كفاح الأحرار

إن الاستقلال الوطني الذي أنجزه اليمينيون في 30 نوفمبر 1967م بدأت رايته تعلق في تلك الصبيحة التي اقترب فيها الكابتن هنس من قلعة صيرة في 19 يناير 1839م، حيث بدأ الكفاح ضد الاستعمار مع مجيء الاستعمار نفسه، حتى أن الكابتن هنس نفسه كان هدفاً لرصاصة فدائيي عدن وقتل خلفه الكابتن ميلين في فبراير 1951م.

إن كفاح أحرار اليمن ضد المستعمرين البريطانيين ظل مهمة يومية دون انقطاع، فمنذ عام 1839م وحتى الاستقلال في 30 نوفمبر 1967م كانت عدن ولحج والضالع وبيحان وحضر موت والحوالي ودثينة وغيرها تتأجج ناراً تصلي المستعمرين، في البداية كانت قبائل الفضلي والعبدي والحوالي ورفان والضالع والحوالي وبيحان، وتطورت المقاومة لتأخذ أشكالاً تنظيمية حديثة فكانت الرابطة والمؤتمر العمالي وحزب الشعب والنقابات وجبهة التحرير، والجبهة القومية.. ثم أخذ النضال أشكالاً مختلفة تحاصر المحتل على كل جبهة ومجال.. المظاهرات.. الإضرابات.. المقاومة.. الكفاح المسلح.. واتسع هذا الكفاح ليشمل كل الفئات ويمتد من المدينة إلى الريف.. ولم يأت منتصف عام 1967م إلا وقد تمكن (الذئاب الحمر) من إسقاط كل المناطق من النفوذ الاستعماري الذي لم تعد بيده سوى مدينة عدن، حتى خرج المندوب السامي يعلن في 6 نوفمبر 1967م أن حكومة جلالة الملكة "تتعترف بالجبهة القومية كمثل شرعي لليمن الجنوبي وأن بريطانيا ستجلي قواتها من عدن عام 1968م، ومع ذلك أدت الضربات الموجعة التي تلقاها المستعمرون إلى التعجيل بخروجهم وفي الحقيقة أن تحديد موعد الجلاء لم يكن في حساب المستعمر.. وكل القرارات كانت من صلاحية الثوار الأحرار وحدهم.. وحتى ذلك الوقت لم يكن بمقدور المستعمرين سوى شيء واحد.. هو "مغادرة عدن وعلى عجل".

نضال المرأة.. ميزة حرب التحرير

إن الكفاح الوطني أو حرب التحرير التي صنعت الاستقلال عن بريطانيا في يوم الخلود يوم (30 نوفمبر 1967) يتميز في تاريخ الحركة الوطنية اليمنية بمزية تبدو أشد ما يكون في المسيرة النضالية ضد الاستعمار البريطاني أكثر من أي سيرة نضالية أخرى.. هذه الميزة التي يمكن رؤيتها بوضوح هي مشاركة المرأة اليمنية في النضال ضد المستعمرين.. وربما ترجع قوة هذا الحضور النسوي في هذه المسيرة النضالية دون غيرها إلى كون الاستعمار مصيبة عامة وأداة مضلة ومدعاة لاستنهاض كل نفس تشعر بالكرامة والغيرة الوطنية..

إن قائمة المشاركات في المسيرة الكفاحية ضد الاستعمار طويلة جداً وذات رصيد ليس له آخر وحسباً أن نذكر أسماء مثل (دعوة سعيد، زهرة هبة الله، عائدة علي سعيد، نجية محمد، شفيقة مرشد، ملكة عبد الله) وأخباريات بطول ذكهن وقد سجلن حضوراً وطنياً في كل المعارك وعلى مختلف الجبهات والأشكال النضالية، فيمن من حملت البندقية ومضت مع كتائب التحرير وفيمن من كانت مشاركة في مفاوضات جنيف حول ترتيبات إعلان الاستقلال.

اتفاقيات ومعاهدات أخرى مع سلاطين وحكام إمارات آخرين في الأعوام (1850، 1882، 1888، 1915، 1938) حيث اشترت بريطانيا - بموجب هذه الاتفاقيات - أراضٍ جديدة مثل الشيخ عثمان وعدن الصغرى، واستقطبت بها سلطنات مثل (لحج) و(دثينة بابين) والكثير، القعبي، وبيحان) في حضر موت وغيرها من سلطنات ذلك الزمن.. ومن جهة فقد استغلت بريطانيا هذه المعاهدات والاتفاقيات لتفرض سيطرتها على الحكام المحليين مستشارين بريطانيين لا يصدر هؤلاء الحكام أي قرارات أو تدابير إلا بعد الرجوع إلى مستشاريهم الذين يعملون مع المندوب السامي ويخضعون لإدارته مباشرة.. وفي وقت لاحق عملت بريطانيا على تجميع الإمارات والسلطنات والمشيخات داخل إطار واحد تحت قبة ما سُمته "الجنوب العربي" وهو مشروع ابتدأته عام 1954م والتحقته به الإمارات والمشيخات تبعاً لمكونة اتحاد فيدرالي" صار يضم جميع الإمارات بحلول عام 1963م، وأنشأت بريطانيا هذا (الاتحاد) بموجب معاهدة تعطي بريطانيا وحدها صلاحية التحكم في الأمور السيادية والسيطرة على هذه الإمارات من خلال المستشارين والموظفين الذين يعينهم لها المندوب السامي في عدن، وكذلك الأمر بالنسبة للمجالس التشريعية أو الحكومة الفيدرالية..

كما عملت بريطانيا على تمكين وجودها في عدن من خلال تدابير أخرى سياسية وعسكرية فنقلت إليها جزءاً من سلاحها الجوي وتعزيت قوات المشاة أو جيش (اليوي) الذي أخذت في تطويره ابتداءً من عام 1928م، وفي العام 1937م أعلنت عدن مستعمرة تابعة للتاج البريطاني وصارت تدار ويعين حاكمها البريطاني من لندن مباشرة وكانت من قبل تابعة للحاكم البريطاني على الهند.. وفي العام 1957م أصبحت عدن مركز القيادة الرئيسية للقوات البحرية البريطانية، أما في العام 1961م فقد تحولت القيادة المركزية للقوات البريطانية في عموم منطقة الشرق الأوسط إلى عدن.

نضال ومقاومة حتى الاستقلال

لم تنل المستعمرة البريطانية (عدن) قسطاً من الراحة مطلقاً خلال سنوات الاحتلال البريطاني لها فقد كان نضال الشعب اليمني كل يوم مستمداً قوته بحكمة "لا للمستعمر الأجنبي على الأرض العربية"، فمنذ أن دخلها المستعمرون البريطانيون في 19 يناير 1839 وعلى رأسهم الكابتن هنس إلى حين خرج من المدينة نفسها المقدم (داي مورغان) في 29 نوفمبر 1967 وهو آخر عسكري إنجليزي كانت تحتفظ به بريطانيا في عدن وإذا كان الكابتن (هنس) قد وجد مقاومة منذ اليوم الأول الذي وطأت أقدامه الخليج الأمامي لمدينة عدن فإن المقدم (مورغان) أيضاً لم ينسحب من عدن رغبةً مختاراً ذلك أن فترة 129 سنة أمضاها المستعمرون البريطانيون في جنوب اليمن لم تمر يوماً من أيامها دون مقاومة ضد الاستعمار وهي مقاومة بالفعل أجبرته على الجلاء من هذه المنطقة التي تحتل أهمية عالية في تفكيره الاستراتيجي رغم سلسلة التدابير الكثيرة التي اتخذها للاحتفاظ بنفوذه أو سيطرته على عدن..

إن الاستعمار شيء كره، وعلى الرغم من أن الاستعمار بين اختاروه كلمة "استعمار" لتعطي دلالة على أن مهمته الحضارية هي "تعمير" البلدان ونقل سكانها من البداوة والمجعية إلى "المدينة" إلا أن الاستعمار ارتبط في الأذهان بالذل والقمع والنهب والتحكم الخارجي، ولذلك لم يلق أي مستعمر ترحيباً من أحد، بل لاقى المقاومة حتى النهاية، وهكذا كانت قصة اليميني

الكثير من أسرار الثورة اليمنية مازال التاريخ محتفظاً بها على الرغم من مرور السنين لكن من عام إلى عام تكشف الوثائق عن نفسها لتزى النور ويتملك الشعب اليمني عظمة أنجاز أجداده في دروس وحكايات من النضال والمقاومة الشعبية تتغنى به أجيال وراء أجيال بما ظفر به من انتزاع لحريته من أنظمة استبدادية واستعمارية تمتلكت اعترافاً وأغبي جيوش الدنيا على مر التاريخ.

تحتفل اليمن بالذكرى الـ 47 لعيد الاستقلال الوطني 30 من نوفمبر 1967.. (الميثاق) تستعرض بعضاً من مراحل نضال وكفاح كان ثوار شعبنا في الجنوب اليمني المحتل شعلة تنوير ضد الاستعمار البريطاني الذي دام احتلاله لأرض الجنوب 129 عاماً.. انتزاع الحرية والاستقلال بعد أربع سنوات من الكفاح المسلح الذي برزغ نوره متفجراً من قمم جبال ردفان في ثورة 14 أكتوبر التي جادت لتحرر جنوب الوطن من الاستعمار الغاشم والبغيض.

ذويزن مخشف

فرحة الاستقلال

تشير الكتب التي دونت في سجلها تاريخ الاحتلال البريطاني لعدن قائلة "إن بريطانيا العظمى أدركت منذ بداية إطلاقها لمواجها الاستعمارية أهمية موقع عدن، فحاولت أن توجد لها مكاناً على هذه المنطقة، وتمكنت عام 1799م من احتلال جزيرة (ميون) وبدأت تظهر رغبتها في فرض نفوذ قوي لها في عدن وما حولها، حتى جاء عام 1802م وقد تمكنت من عقد اتفاقية مع سلطان لحج الذي كانت عدن تابعة لسلطنته، وبموجب هذه الاتفاقية التزم السلطان بفتح عدن أمام البضائع البريطانية وحماية رعاياها..

لكن ذلك بدا غير كاف لبريطانيا التي عملت لفرض سيطرتها المباشرة على عدن بشتى الطرق ومن بينها ذلك الحادث المدير الذي وقع في يناير 1837م في المياه اليمنية واتخذته بريطانيا ذريعة لاحتلال عدن، حيث غرقت السفينة (داريادولت) قرب عدن وزعم قائدها الكابتن "هنس" أنها أغرقت من قبل مهاجمين يمينيين، فأخذ يخطط لاحتلال عدن، وعاد في العام التالي يقود سفينة ووزاروق عسكرية واقترب من عدن لكنه واجه مقاومة من المدافعين عن عدن، وأثر التراجع حتى تصله الإمدادات الإضافية التي طلبها من بومباي التي وصلت إلى المياه الدولية لليمن بالفعل في ديسمبر 1838م وهذا ما أمكن من التقدم نحو مدينة عدن التي احتلها في (19 يناير 1839م) في معركة غير متكافئة سقط في صبيحة ذلك اليوم حوالي (139) شهيداً من أبناء اليمن الذين قاوموا ببسالة القوات الغازية التي كانت كثيرة العدد وعالية التدريب والتسليح.

مخططات لبسط النفوذ

منذ أن سيطرت القوات الاستعمارية على مدينة عدن عام 1839 شرعت في تنفيذ مختلف الخطط والتدابير التي تمكنها من الاستقرار وبسط نفوذها في جنوب اليمن التي طالما احتلت أهمية كبيرة في التفكير الاستراتيجي لدى الاستعمار البريطاني.. وكان إحدى الوسائل أو الآليات التي اتبعتها في الاتفاقيات والمعاهدات التي نجحت في عقدها مع الحكام المحليين لإمارات والسلطنات والمشيخات التي كانت قائمة حينئذ.

وعلى سبيل المثال فقد بدأت بريطانيا من خلال مندوبها السامي في عدن عقد أول اتفاقية صداقة وتعاون مع سلطان لحج في يونيو 1839م، وتلتها

تفجرت ثورة أكتوبر 1963م كثورة شعبية مسلحة مستمدة بركانها من ثورة 26 سبتمبر 1962 ضد الحكم الامامي الكهنوتي، لا شك أن ثورة أكتوبر ارتبطت بثورة سبتمبر ليفتحا معا مرحلة جديدة في مسيرة الكفاح الوطني اليمني على طريق الاستقلال والوحدة.

قبل قرن ونصف مضى حيث كانت سنوات عجاف ضحى فيها اليمينيون بالغالي والنفيس.. تتذكر تلك السنين التي مرت بمنعطفات كثيرة في مقدمتها ما اجترحه أولئك البطال الأشاوس الذين قدموا التضحيات في سبيل حرية هذا الشعب.. ويوم 30 نوفمبر عام 1967 هو تاريخ انتصار حرب ضروس خاضها اليمينيون ضد الامبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس سطلها التاريخ عبر المقدم (داي مورغان) كأخر عسكري بريطاني يغادر عروسة الأرض اليمنية (عدن) التي كان أسلافه احتلوها نحو (129) عاماً وتحديداً منذ عام 1839م.

انئثق يوم 30 نوفمبر كيوم جديد أعلن فيه استقلال جنوب اليمن من الاستعمار البريطاني لتقوم جمهورية اليمن الجنوبية المستقلة.. في منحنى هذا التاريخ تقول السيدة فرانسيس جاي التي شغلت لسنوات سفيرة المملكة المتحدة (بريطانية العظمى) لدى الجمهورية اليمنية قبل 10 سنوات في تصريحات حينها "إن خروج بريطانيا من عدن) شكل بداية النهاية للإمبراطورية البريطانية في العالم.. ولم تحصل على فرصة للإبقاء على بعض قواتها في هذه المنطقة رغم أنها كانت تحاول ذلك حتى آخر لحظات مفاوضات جنيف التي جرت بين وفد الجبهة القومية برئاسة قحطان الشعبي والوفد البريطاني برئاسة اللورد شاكلتون حول الاستقلال وهي المفاوضات التي دامت نحو أسبوع وانتهت في 27 نوفمبر 1967م بانتزاع الاستقلال التاجز دون أن تحتفظ بريطانيا بأي وجود عسكري لها في عدن".

مثل حديث هذه المسؤولة والدبلوماسية البارزة بواحدة من أكبر دول العالم هو بمثابة شهادة تاريخية لمستوى المقاومة والحرب الذي استبسل فيها اليمينيون على مدى أربع سنوات لإخراج المحتل الإنجليزي من أرض الوطن. وفي الوقت نفسه يحتم علينا أهمية إعادة قراءة تاريخ جدوى الاحتلال البريطاني لعدن كمدينة واقعة بين مترق الطرق العالمية حيث تربط بين الشرق والغرب بمكانتها كميناء استراتيجي هام فضلاً عن حضارتها التي تجاوزت آلاف السنين.

المؤتمر الشعبي.. القادم القوي



د.علي مظهر العثري

الجغرافية والسكانية ويقدم التراب الوطني ويسعى الى بناء الدولة اليمنية القوية والقادرة والمقتدرة والواحدة والموحدة ويرفض التجزئة ويؤمن بالمشاريع الوطنية الكبرى التي تقود الى تحقيق الوحدة العربية أمل الأحرار والبناء الذين ترتفع رؤوسهم في ثقل هكذا مشاريع قومية تجعل للعرب مكانة عالية في العلاقات الكونية.

إن المؤتمر الشعبي العام بفكره المتجدد وامتلاكه لخبرة أبنائه الأوفياء والعظماء والبناء قادر على المضي بنيات بل يمين وعزيمة لا تضعف باتجاه رسم خارطة المستقبل الذي يطمح اليه المواطنون الشرفاء، وتأمل فيه جماهير الشعب العريضة وتسند به بقوة الإرادة والاستعداد المطلق للتضحية والفداء للوطن اليمني الواحد والقادر والمقتدر.

إن المؤتمر الشعبي العام أذهل العالم بصموده وتضحياته وعقلانيته وهدونه وصبره ونفسه الطويل وإيمانه وحكمته وقوة بأسه قادر اليوم على انطلاقة جديدة أكثر تطوراً وتقدماً ولن تفت في عضده صغائر الأمور ومشاريع التجزئة لأنه أكبر من التأمر ويستمد قوته من الإرادة الشعبية التي لا تقبل الا بالعزة والشموخ والكرامة الإنسانية ولا تترك الا للخلاق جبل في علاه.

إننا في ظل المتغيرات الجديدة على الحياة السياسية في ساحة الفعل الوطني الأكثر قبولاً والأعظم وفاءً لقدسية التراب الوطني، وسر هذه القوة وهذا القبول يكمن في أن المؤتمر الشعبي العام يفرس الثقة الشعبية ويجعلها مصدر القوة ولا يتجاوزها مهما كانت الضغوط، فهو الذي جعل سلامة الشعب مقدمة على السلطة وهو الذي قدم درء المفاسد على جلب المصالح وهو الذي قدس الدم اليمني وجعل من الشعب أفراداً وجماعات الثروة الحقيقية فكان العصيان والعقوق وكان الصبر الذي تحمل من أجل سلامة المواطن اليمني وسلامة السيادة اليمنية.

إن المؤتمر الشعبي العام بعد هذا الاستهداف الفاجر الذي استهدف الدولة اليمنية من جذورها قد برهن للعالم أن اليمن قوة لا تقهر، وأن أبناءها هم أولو الألباب وأصحاب الأساس الشديد الذين لا يمكن أن تنحني هاماتهم لغير الله، وإذا كان المؤتمر الشعبي العام قد أرغم بقوة الإرادة الشعبية على الاعتراف بهذه الحقيقة فإن على أصحاب المشاريع الصغيرة أن يدركوا أن العالم لا يحترم الأرقام والأذئاب ولا يحترم غير من يقدر السيادة الوطنية الواحدة والموحدة وهذا هو القاد

وكل ما أتمناه أن يقف الأمين العام الاستاذ عارف الزوكا أمام احتياج المؤتمر الشعبي العام الملح لتجميع كوادره ومؤسسته في المقر الدائم للمؤتمر الشعبي العام.

إن المرحلة المقبلة من الأداء التنظيمي تحتاج الى تكاتف كافة المكونات التنظيمية للمؤتمر الشعبي العام التي تعتمد العمل الطوعي المباشر والمبادرات الشعبية من أجل تفعيل الأداء التنظيمي لتثبيت قدرتنا على النقاء والإبداع لندحض إدعاءات الباطل التي ما فتئت لتلصق التهم بالمؤتمر الشعبي العام في كل فعالية رغم أن أصحاب الإدعاءات يدركون أن المؤتمر الشعبي العام إرادة شعبية تستمد قوتها من الإرادة الإلهية التي لا غالب لها وأنه كذلك فكر وطني متجدد وانطلق من واقع الشعب ولم يكن امتداداً لأي فكر خارجي على الإطلاق وهذا هو سر بقائه متألماً وقوياً بقوة الإرادة الجماهيرية.

إنني في هذا الحيز أخاطب التكوينات التنظيمية في فروع المحافظات والجماعات والكيليات والمديريات بالقول الواضح والبيّن الذي لا يقبل الاحتمالات والتأويلات فهو قطعي الدلالة أن المؤتمر الشعبي العام إرادة شعبية مستنيرة تستمد قوتها من الاعتصام بحبل الله المتين وترفض ما عدا ذلك من الأهواء والنزوات التي سيطرت على الذين تساقطوا كأوراق الخريف، وأن صمود المؤتمر الشعبي العام في الزلزال السياسية الكارثية من 2011م وحتى اليوم قد برهن بما يدع مجالاً للشك بأنه صمام أمان المستقبل وهو البوابة الأكثر اشراقاً والأعظم استشرافاً ووفاءً لقدسية التراب الوطني المقدس الذي لا يقبل التدنيس ولا المدنسين، وأنه الوحيد على الساحة الوطنية الذي يمتلك نظرية سياسية شاملة وجامعة واحدة وموحدة لا تقبل التجزئة ولا تمثل امتداداً للغير، وإنما ينطلق من عمق التراث الفكري والحضاري والإنساني اليمني الضارب بجذوره في أعماق التاريخ الطويل، بل أن وثيقته ونظريته الجامعة والشاملة والمناذعة، قد أصبحت وثيقة دستورية لا نظير لها على الإطلاق لأنها جاءت من خلال الاستفتاء المفتوح الذي أعطى الشعب فيه حقه في صناعة هذه الوثيقة الدستورية «الميثاق الوطني» وبناء عليه فالمؤتمر الشعبي العام فكر وطني متجدد قابل للتطوير والتحديث ينطلق من واقع حياة الشعب اليمني بكل مكوناته

> الرجال الأوفياء، في المؤتمر الشعبي العام كثيرون والأكثر من كل ذلك أن هناك من الوفاء للمؤتمر الشعبي العام ما يجعله أكثر قدرة على الأداء فيعمل على تجميع عناصر القوة الفعلية من القيادات والكوادر والمؤسسات والآليات والمعدات التي تجعل المؤتمر الشعبي العام أكبر مؤسسة وطنية في ساحة الفعل الوطني المشرف وتذكرنا بمرحلة الاستاذ القدير والغيور والمناضل الجسور عبدالقادر باجمال الأمين العام للمؤتمر الشعبي العام الذي أقعده المرض، وكانت أحلام المؤتمر في أوج تفاؤلها، لأن الرجل كان يفكر بعيد استراتيجي واتضح ذلك من خلال إصراره على إنشاء قاعة للمؤتمرات ومبنى متكامل يضم كل المؤسسات الإعلامية للمؤتمر الشعبي العام في مقر اللجنة الدائمة بالحسبة باعتباره موقفاً استراتيجياً وسطاً يسلم تواصل الأعضاء جميعاً ويعطي دلالة فاعلة على قوة المؤتمر الشعبية، إلا أن المرض حال دون ذلك ولم تخرج مشاريعه الى النور.

إن المؤتمر الشعبي العام عانى كثيراً من عدم التفرع للقيادات العليا فيه الأمر الذي كان سبباً جوهرياً في إعاقة الأداء في مختلف تكوينات المؤتمر الشعبي العام وربما أصيب ببعض الركود والرتابية في الأداء التنظيمي، قد صبر المؤتمر طويلاً لعدم التفرع، وقد جاءت الأزمة السياسية وتركت أثراً كارثياً على البلاد والعباد وكان نصب المؤتمر الشعبي العام منفاً واضحاً وبارزاً من خلال استهداف قياداته وكوادره والاعتداءات التي طالت مقر اللجنة الدائمة في الحسبة بالإضافة الى المعاناة من عدم التفرع، ولذلك جاء انعقاد اللجنة الدائمة الأخير كضرورة حتمية لتضع الحلول المناسبة لحالة الجمود والركود والشتات الذي يعاني منه المؤتمر الشعبي العام، وكان من تلك الحلول تكليف أمين عام يدير الأداء اليومي للمؤتمر متفرغ وقد وقع الاختيار على شخصية وطنية جامعة اتصفت بالقدرة الفائقة على العطاء، في مختلف المواقع الإدارية والسياسية والتنظيمية وقامة وطنية قادرة على تمثيل الوطن اليمني الواحد والموحد والاستاذ المناضل الذي عرفناه في ميادين النضال والكفاح من أجل عزة وشموخ اليمن وقوة إرادته الواحدة والموحدة الأخ العزيز عارف عوض الزوكا، وكانت أولى خطواته التنظيمية القيام بزيارة لمبنى اللجنة الدائمة في الحسبة التي تعد رد اعتبار للمؤتمر الشعبي العام وبداية الانطلاقة الحقيقية لتفعيل الأداء التنظيمي،